تفسير القرآن الكريم

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بيان مكان نزولها وعدد آياتها :

هى مكية فى قول الحسن ، مدنية فى قول ابن عباس ، وهو الصحيح ، لأن سبب نزولها سحر لبيد بن الأعصم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد كان ذلك بالمدينة . وآيها خمس بالاتفاق .

بيان وجه مناسبتها لما قبلها :

قال صاحب البحر فى بيان وجه المناسبة : لما شرح أمر الألوهية فى سورة الإخلاص ، شرح فى هذه ما يستعاذ منه بالله من الشر الذى فى مراتب العالم ومراتب مخلوقاته .

بيان فضل المعوذتين :

قال البيهقى فى الدلائل : هذه السورة والتى بعدها نزلتا معاً ، فلذلك قرنتا . وجاء فى فضلهما أحاديث كثيرة صحيحة ، منها : ما أخرجه مسلم والترمذى

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل على الليلة آيات لم أر مثلهن قط » : « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس » .

وأخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما ، فقرأ فيهما قل هو الله أحد ، والمعوذتين ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده .

وجاء فى الحديث : أن من قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاثاً حين يمسى ، وثلاثا حين يصبح ، كفته كل شيء .

بيان سبب النزول :

سبب النزول هو ما جاء فى صحيح البخارى ومسلم عن عائشة رضي الله عنها : « أن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر النبى صلى الله عليه وسلم ، فمرض ثلاث ليال واشتد عليه ذلك ، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله ، ثم أتاه جبريل فأخبره بالسحر وبموضعه الذى وضع فيه ، وتلا عليه المعوذتين ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم علياً وطلحة فأتياه بالسحر ، وكان فى مشط للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومشاطة (خصلة من شعره) وجف طلعة ذكر ، ووتر فيه إحدى عشرة عقدة ، وكان كل ذلك مدفوناً تحت راعوفة بئر ذروان (الراعوفة : حجر فى أسفل البئر يقف عليه المستقى) ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم السورتين ، وكان كلما قرأ آية انحلت عقدة من عقد السحر ، ووجد بعض الخفة والراحة ، حتى إذا انتهى من تلاوتهما عاد إليه نشاطه ؛ ورجعت إليه حالته » .

وقد بين الواقدى السنة التى وقع فيها السحر حيث قال : كان ذلك السحر لما رجع من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست ودخل المحرم سنة سبع .

وفى المواهب : وكانت مدة سحره صلى الله عليه وسلم أربعين يوما .

بيان رأى المنكرين لحديث السحر :

قال الرازى : واعلم أن المعتزلة أنكروا حديث السحر بأسرهم . وقال

القاضى : هذه رواية باطلة ، وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول : « والله يعصمك من الناس » ويقول : « ولا يفلح الساحر حيث أتى » ؟ ولأن تجويز السحر يفضى إلى القدح فى النبوة ، ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى الضرر بجميع الأنبياء والصالحين ، ولأن الكفار كانوا يعيرونه بأنه مسحور ، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين فى تلك الدعوى ، ولحصل فيه صلى الله عليه وسلم ذلك العيب ، وذلك لا يجوز .

بيان الرأى الراجح :

ولبيان الحقيقة فى هذه الواقعة نقول : إن حديث سحره صلى الله عليه وسلم صحيح عند أرباب الفن من المحدثين الذين يعرفون الطرق ، ويدركون الصحيح منها وغيره ، وقد رواه البخارى ومسلم وابن ماجه وغيرهم ، وكفى بهم قدوة . ولا يلزم عليه حط منصب النبوة ، ولا التشكيك فيها ، لأن الكفار أرادوا بقولهم : « مسحور » أنه مجنون أزيل عقله ، فلذلك ترك دينهم .

أما القول بأنه كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء ولا يفعله ، فذلك فيما يتعلق بأمور الدنيا التى لم يبعث لأجلها ، ولا كانت الرسالة لأجلها .

أما فيما يبلغه عن الله فقد قام الدليل على صدقه فيه وعلى عصمته .

والذى أختاره أن المراد بالشىء الذى كان يخيل إليه أنه يفعله ، وطء نسائه فقط . فقد كان يخيل إليه أنه وطىء زوجاته وليس بواطء .

قال الرازى : قد جاءت روايات حديث عائشة مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده الشريف وظواهر جوارحه ، لاعلى عقله وقلبه واعتقاده . ويكون معنى ما فى بعض الروايات « حتى يظن أنه يأتى أهله ولا يأتيهن » أنه يظهر له من نشاطه القدرة عليهن ، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يتمكن من ذلك كما يعترى المسحور .

فخلاصة الموضوع التى تجب معرفتها وطرح ماعداها ، أن التأثير والتخيل الذى وقع له صلى الله عليه وسلم كان فى مدة وجيزة ، وكان خاصاً بإتيان النساء ، كما يفعل اليوم مع الشخص الذى يقال له « مربوط » فى العرف .

ولا غضاضة فى ذلك على النبوة والرسالة ، لأنه شبيه بالأمراض التى كانت تعتريه ، وشبيه بما لحقه من كسر رباعيته فى غزوة أحد ؛ لأن الله تعالى لم يعصمه من هذه العوارض ، وإنما عصمه من الخطأ فى تبليغ الأحكام . والله أعلم .

بيان المعنى

« قل أعوذ برب الفلق » :

« أعوذ » : ألتجىء ، وأعتصم ، وأتحرز . و « الفلق » : فعل بمعنى مفعول ، كقبض بمعنى مقبوض ، مأخوذ من الفلق وهو الشق ؛ فالفلق مؤول : إما بالمفلوق عنه ، أى المشقوق عنه ، وإما بالمفلوق ، أى المشقوق .

وبناء على هذا اختلف المفسرون فى المراد منه هنا ؛ فقيل : المراد منه الصبح الذى شق عنه الظلام ، وفى الاستعاذة باسمه تعالى مضافا إلى الفلق ، المنبىء عن النور عقيب الظلمة ، والسعة بعد الضيق ، والفتق بعد الرتق ؛ عدة كريمة بإعاذة العائذ مما يخافه ، وإنجائه مما يحذره ويعوذ منه ، وتقوية لرجائه بالتذكير ببعض نظائره ، ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه سبحانه وتعالى .

وقيل : المراد به كل مايفلقه الله ، كالأرض التى تنفلق عن النبات ، والجبال التى تنفلق عن عيون المياه ، والسحاب الذى ينفلق عن ماء الأمطار ، والأرحام التى تنفلق عن الأولاد .

وقال جمع من المفسرين : إن المراد به الموجود كله ، وربه هو خالقه الذى شق عنه ظلمة العدم . ومن كان رب كل موجود وخالقه ومنشئه ، كان جديراً بأن يتعوذ به ، ويلجأ إليه وحده دون سواه .

والمشهور الأول ، لأن مقصود العائذ من الاستعاذة أن تتغير حاله بالخروج من الخوف إلى الأمن ، وبالتخلص من وحشة الهم والحزن إلى

فرحة الفرح والسرور ، والصبح أدل على هذا ، لما فيه من زوال الظلمة بإشراق أنوار الصبح ، وتغير وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته .

وقوله سبحانه وتعالى : « من شر ما خلق » معناه : من كل شر وأذى يصيبك من أى شىء من خلقه ، سواء أكان من الثقلين أم من غيرهم ، كالسباع والهوام .

وقيل : « من شر ما خلق » من الأمراض والأسقام والقحط ، وأنواع المحن والآفات .

وزعم الجبائى والقاضى أن التفسير الثانى باطل ، لأن فعل الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شر .

وقد أجاب الأستاذ الإمام عن هذا فقال : إن كل مخلوق هو خير فى نفسه ، لأنه أخذ مكانه من الوجود ، وإنما الشرور التى تعرض أمور نسبية ، فما هو شر بالنسبة إليك خير بالنسبة لكائن آخر . فالسبع مثلا يأكلك فتألم وتموت ، ويحزن لك الأقارب والأصدقاء ، ويحرم سعيك الأولاد والفقراء ، فكل ذلك أذى بالنسبة إليك وإليهم ، ولكنه خير بالنسبة إلى السبع وتكميل حظه ، ولهذا أضاف الشر إلى ما خلق ، لأن الشر إنما يأتى بمراعاة تلك الإضافة ، أما أفعال الله فى نفسها ، فكل منها خير فى نفسه . اهـ .

« ومن شر غاسق إذا وقب » :

« الغاسق » : الليل . وقوله : « إذا وقب » معناه : دخل ظلامه دخولا لم يترك شيئا إلا مر به وغمره . وإنما أمر بالاستعاذة من شر الليل إذا دخل ظلامه ، لأن حدوث الشر فيه أكثر ، والتحرز منه أعسر ، ومن أمثالهم : « الليل أخفى للويل » ، وذلك لأنه فى الليل تخرج السباع من آجامها ، والهوام من أماكنها ، ويقوى أهل الشر على العتو والفساد ، لأنهم يستترون تحت ظلامه ، ويختبئون تحت حلكته . ولا حاجة بنا إلى تعديد ما فى الظلام من أطوار الشر ، فذلك مما لا يكاد يخفى على أحد ،

فكان جديراً أن يخص بالاستعاذة من شره ربه سبحانه ، فهو القادر على الكفاية منه .

وتخصيص الشرور الثلاثة بالذكر : هذا وما بعده — مع اندراجها فيما قبلها — لتفاقم شرورها ، وكثرة مضارها ، وفداحة أخطارها .

وقوله : « من شر غاسق » متعلق بأعوذ ، و « إذا » ظرف منصوب بقوله : « شر » ، والتقدير : أعوذ برب الفلق من شر الليل وقت دخول ظلامه .

ثم قال تعالى : « ومن شر النفاثات فى العقد » :

أصل « النفاثات » جمع نفاثة ، وهى صيغة مبالغة من النفث ، وهو النفخ مع ريق يخرج من الفم ، وقيل : من غير ريق ، فإن كان مع ريق فهو تفل . والأول هو الأصح ، لما نقله ابن القيم من أنهم إذا سحروا استعانوا على تأثير فعلهم بنفس يمازجه بعض أجزاء أنفسهم الخبيثة .

و « العقد » ما يعرف فى الخيط والحبل ، جمع عقدة .

و « النفاثات » صفة لموصوف محذوف ، والتقدير : ومن شر النفوس السواحر اللاتى يعقدن عقداً فى خيوط وينفخن فيها ، وقدره بعضهم : ومن النساء النفاثات ، لكون مثل ذلك من عمل النساء وكيدهن ، والأول أولى ليشمل الرجال ، ويطابق سبب النزول .

وقيل : المراد بالنفاثات النساء اللاتى يكدن للرجال تشبهاً لكيدهن بالسحر .

وقيل : المراد النمامون المقطعون لروابط المحبة ، المبددون لشمل المودة ، الممزقون لأواصر الألفة ، تشبيها لعملهم بالنفث ، ولرابطة الوداد بالعقدة . و « النفاثات » على هذا جمع نفاثة غير أن التاء فى المفرد للمبالغة ، مثل علامة وفهامة لا للتأنيث .

وقوله تعالى : « ومن شر حاسد إذا حسد » « الحاسد » : هو الذى يتمنى زوال نعمة الغير ، وقوله : « إذا حسد » معناه : إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه . والتقييد بذلك ، لأن الحاسد لا يضر إلا إذا أظهر حسده بفعل أو قول ، وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود ، فيتبع مساويه

ويطلب عثراته . وهذا هو الحسد المذموم ، أما المنافسة والغبطة وهى تمنى مثل ما للغير فهى مباحة وممدوحة .

ومن أنواع الحسد المذموم ، النظر إلى المحسود ، وتوجه النفس الخبيثة نحوه على وجه الغضب ، فإن نفس الحاسد حينئذ تتكيف بكيفية خبيثة ربما تؤثر فى المحسود بحسب ضعفه وقوة نفس الحاسد . وقد ذكروا أن العائن والحاسد يشتركان فى أن كلا منهما تتكيف نفسه ، وتتوجه نحو من تريد أذاه ، إلا أن العائن تتكيف نفسه عند المعاينة ، والحاسد يحصل حسده فى الغيبة والحضور . وقانا الله شر الحســـد وآفاته ، وكفانا شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا . والله أعلم؟

عبد الرحيم فرغل البلينى
مدرس بكلية الشريعة

افتتاح مدرسة منشاة صدقى

ابتهاجاً بعيد الميلاد الملكى السعيد ، وتيمناً بمناسبته الميمونة ، افتتح الاتحاد العام لجماعة القراء مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ببلدة منشاة صدقى من أعمال مركز أبو كبير . وهى المدرسة التى تبرع بمكانها حضرة الوجيه الحاج محمد سليم من أعيان الناحية .

وقد توجه لهذا الغرض النبيل وفد من حضرات أعضاء الاتحاد وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح القاضى وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحليم بسيونى والأستاذ عبد المقتدر عبدالعزيز ، يصحبهم حضرة القارىء المجيد الشيخ عمر الفشنى ، فاستقبلهم فى بلدة منشاة صدقى حضرة عمدتها والوجيه الحاج محمد سليم وأعيان الجهة بالحفاوة والتكريم . وخطب فيهم فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح القاضى خطبة قيمة دعاهم فيها إلى الإقبال على تعلم القرآن والاعتصام بحبله ، وقرأ الأستاذ الشيخ عمر الفشنى ماتيسر من آى الذكر الحكيم فأعجب به المستمعون .

وانتهى الاحتفال بالدعاء لجلالة الملك المعظم قائد النهضة العلمية .